الانتقاد

(على)

كتاب التمدن الاسلامى للفاضل جرجى زيدان

للشيخ الاستاذ شبلى النعمانى الهندى

(اعتنى بطبعه)

القارئ محمد عبد الولى بن العلامة الآسى المرحوم

(طبع)

فى مطبعة آسى پريس الكائنة فى محمود نگر لكنؤ

سنه ١٩١٢ع

جدول اصلاح ما وقع فى طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٦	رسايه	رسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	٠	״	٤	لترويح	لترويج
״	١٣	الخزانة	خزانة	״	٥	تصيب	يصيب
٣	١	حَمَّلْتُ	حملت	״	٩	لغير	تغيير
״	١٥	لئيس	ليست	٩	٢	بزدرهم	بذورهم
״	١٧	اتبز	ابتزّ	״	٩	مهدى	المهدى
٤	١	لعرب	عرب				
״	١٣	يجرّمون	يجرمون	״	١٣	عرب	عربى
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	״	١٤	عرب	عربى
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
״	٤	ابن وقاص	ابن ابى وقاص	״	٨	كونة	الكوفة
״	٦	حيرة	الحيرة	״	״	قضايه	قضائه
״	١٤	وترميه	وترميهم	״	״	استنكفوا	الاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لاتبايع	١٥	٩	الهجية	الهجية
١٢	٢	ولدا	ولدًا	١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	٨	مرزولين	مرذولين	〃	〃	الطبعى	الطبيعى
〃	١٠	المل	اكمل	١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	يمن	اليمن	〃	١٦	لرمتها	لرمّتها
١٢	٦	اموالى	من الموالى	١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	١٠	المسايل	المسائل	〃	٨	مسايل	مسائل
〃	١٤	تعدد	تعذرت	١٩	١١	رمته	رمّته
〃	١٦	حسن	الحسن	〃	١٦	ولد للمروان	ولدٍ لمروان
١٣	١	يكون	تكون	٢٠	١٥	بها	له
〃	٤	المسايل	المسائل	〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٢	يمن	اليمن	〃	١٧	يكن	تكن
١٤	١	حجاج	الحجاج	٢١	٣	المراد	مراد
〃	له	عقد الفريد	العقد الفريد	〃	٦	نال	نالت
١٥	٥	مرزولين	مرذولين	٢٢	١	انمختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج	〃	١٥	اليه	اليها
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ	〃	٢٨	طايفة	طائفة
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً	〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
٢٤	٦	ساير	سائر	〃	١٤	يخترئ	يجترئ
〃	٧	يسر	بسر	٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	الموثوقة	الموثوق	〃	٦	امية	مية
٢٦	٢	يستشن	يستثن	〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	٤	باس	بأس	〃	〃	ساير	سائر
〃	٥	كان	كانت	٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	〃	رافعا	رافعة	〃	١٢	احدًا	واحدًا
〃	〃	هادما	هادمة	٣٢	٢	القريش	لقريش
〃	١٧	صنيعة	صنيع	٣٣	١	ليتس	ليس
٢٧	١	القايم	القائم	〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٨	قايمة	قائمة	〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم	〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزیّة	الجزیة
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم
〃	۱۶	الجزیّة	الجزیة
〃	〃	یکن	تکن
〃	〃	شئ	شیئا
۳۵	۱	عمالٍ	عمالًا
〃	۳	لحرب	الحرب
〃	۸	نی	فی
〃	۱۶	البّ	تالّب
〃	۱۷	فتلوه	قتلوه
۳۶	۲	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	۱۵	الجزیہ	الجزیة
۳۷	۲	المؤلف	للمولف
〃	۱۳	لاجتراء	الاجتراء
۳۸	۱	کلان	کلاف
〃	۵	الرهبة	الرهینة
〃	۷	ولکن	لکن
〃	۹	الیه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
〃	۱۸	اهتدنا	اهتدینا
۳۸	۱۹	خیانا تها	خیاناته
〃	۲۰	التغئیر	التغییر
۳۹	۵	اناشدک بالله	اناشدک الله
〃	۷	شاو	شأو
〃	۱۵	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عرب
بح	۶	صع نوع	بنوع
〃	۸	المعاوتة	معاونة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٤	انظروه	انظروا	٤٧		نموذا	نفودا
//	١٦	حوايج	حوائج	//	١	المودبين	المؤدبين
٤١	١٠	لملك	الملك	//	١٤	التصحيب في	التصحيف في
//	١٥	حنفية	الحنفية	٤٩	٣	رجأ	رجاء
//	١٦	كفاءة	كفاية	//	٥	استودعت	استيداعها
٤٢	١	هذه	هذا	//	١٥	يوميذ	يومئذ
//	٥	خلفايهم	خلفائهم	٥٠	٣	مدونوا	مدونو
//	٦	سوال	سوآل	//	٤	فقد	.
٤٣	١	المودبين	المؤدبين	//	١٣	بزيدعبد	بزيد بن عبد
//	٥	ضرب	ضربت	٥١	٨	سالة	سأله
٤٤	٥	هنا	هنالك	//	١٠	الماضيين	الماضين
//	١٥	الذين	فان الذين	٥٢	١٣	الغلمين	العلمين
//	٩	بيعة	سعة	٥٣	٧	اذا	واذا
٤٥	٨	صهاديج	صهاريج	٥٤	١٣	موسس	مؤسس
//	٥	الفا	الآف	//	١٤	تضيُقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٥	١	انتها	انته	〃	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
〃	٤	ذهب	ذهبت	〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	٧	القران	القرآن	〃	١٦	امرة	امرأة
〃	١٥	النصبغ	التصبغ	٥٩	١	باحراج	باخراج
٥٦	١	يوموهم	بأموهم	〃	٨	بهدم	هدم
〃	٤	من	عن	〃	١٣	الخزانة	خزانة
٥٧	٦	ساموها	ساموهو	٦٠	٢	تضريح	تصريح
〃	٨	مواضع	موضع	〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	انفهم	انوفهم	〃	١١	مّا	ما
〃	١٤	تشأزعنها	تشأزمنها	٦١	١	محوبها	محوها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا		،	ايضاجا	ايضاحًا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا	〃	٢	هذا	ذلك
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها	〃	١١	قرءة	قراءة
〃	٧	خاب	خابت	〃	١٠	الابخيل	الانجيل
〃	〃	يكادلا	لايكاد	٦٢	٢	التشوقوا	تشوقوا

صفحہ	سطر	خطأ	صواب	صفحہ	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٧	بالاخبار	بالاخبار	〃	١٠	اللسان الاردو	اللسان الاردوی
٦٣	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة	〃	〃	احد من اهل	احد اهل
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام	〃	١١	شطرُ	شطرٌ
٦٥	١	عموو الوری	عمود السواری	〃	١٥	الموثوقة	الموثوق
〃	٩	يكن	تكن	٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
	١١	يتصل	تتصل	〃	٧	عليهم	علمهم
	١٣	يكون	تكون	〃	١٣	المصر	مصر
٦٦	٣	اخبار	الاخبار	٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٦٧	١٣	صار	صارت	٧٤	١٤	فرابينا	فرأينا
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة	٧٤	١٧	النصاری اهل الشام	نصاری الشام
〃	١٦	لو	ان	٧٥	٣	التضئيق	التضييق
٧٠	٩	وشام	والشام	〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١١	حيا	حا	〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
〃	١٣	ما	صا	٧٦	٩	فرجاة البضاعة عنه	بضاعة مزجاة
٧١	١	الخزانة	خزانة	〃	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحہ	سطر	خطا	صواب	صفحہ	سطر	خطا	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكًا	٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
"	"	محمد	احمد	٧٩	١٢	وجها	وجهها
٧٧	٩	سبحنه	سبجنه	"	١٤	بجلع	بخلع
٧٨	١٣	نسخته	نسحته	٨٠	١٢	من احد	احد
٧٨	٨	الحماد	لحماد	"	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجائب، ومن احدى عجائبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشاراً فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسائسه ان هذا الشئ عجاب.

لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئاً فشيئاً فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصاً۔

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسائسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم اُطق الصبر فاخلستُ مِن مِن اوقاتی آیّاماً وتصدیت للکشف عن عوار هذا التالیف والابانة عما فیه من انواع الافكِ والزورِ واصناف التحریف والتدلیس؛

معذرة الی المؤلف

انی ایُّها الفاضل المؤلف غیر جاحد لمنتك فانك قد نوّهت باسمی فی تالیفك هذا وجعلتنی موضع الثقة منك واستشهدت باقوالی و نصوصی ووصفتنی بکونی من اشهر علماء الهند مع انی اقلهم بضاعة واقصرهم باعاً واخملهم ذکراً ولکن مع کل ذلك هل کنت ارضی بان تمدحنی وتهجو العرب فتجعلهم غرضاً لسهامك ودریة لرماحك ترمیهم بکل معیبة وشین وتعزوالیهم کل دنیة وشرحتی تقطعهم ارباً اربا وتمزقهم کل ممزق وهل کنت ارضی بان تجعل بنی امیة لکونهم عرباً بحتاً من اشر خلق الله واسوئهم یفتکون بالناس ویسومونهم سوء العذاب ویهلکون الحرث والنسل یقتلون الذریة وینهبون الاموال و ینتهکون الحرمات ویهدمون الکعبة ویستخفون بالقرآن؛

وهل کنتُ ارضی بان تنسب حریق الخزانة الاسکندریة الی عمر ابن الخطاب الذی قامت بعدله الارض والسماء وهل کنت ارضی بان تمدح بنی العباس فتعد من احدی مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الکلب حتی ضُرب بذلك المثل وان المنصور بنی القبة الخضراء ارغاماً للکعبة وقطع المیرة عن الحرمین استهانة بهما وان المامون کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم بالله انشأ کعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادم لکل عاطفة و وجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتألم وهب انی حملت نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروه والصمم عن البذاء ومجازاة السیئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت ارضی بان تشوه وجه التاریخ وتدمغ الحق وتروج الکذب وتفسد الروایة وتقلب الحقیقة وتنفق التهم وتعود الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ایها الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

انّ الغایة التی توخاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها ولکن لما کان یخاف ثورة الفتنة، غیّر مجری القول ولبس الباطل بالحق بیان ذلک انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوار دور الخلفاء الراشدین ودور بنی امیة ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجیٔ) ولما غرّ الناس بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتنا وقدوتنا فی الدین وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عم النبی وبهم فخارنا فی بث التمدن وابهة الملک، ورأی ان بنی امیة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترک سیئة الا وعزاها الیهم وما خلی حسنة الا وانتزعها منهم، ثم لوکان هذا لاجل انهم من آل مروان او لکونهم من سلالة

اُمَیَّۃ لکُنّا فی غِنیً عن الذبّ عنہم والحمایۃ لھم ولکن کُل ذنبھم انہم العرب علی صرافتہم ما شَابَتھُم العجمیّۃ مُطلقًا کما قال

" ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانہا عربیۃ بحتۃ" (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

"وجملۃ القول ان الدولۃ الامویۃ دولۃ عربیۃ اساسہا طلب السلطۃ والتغلب" (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۲)

عصبیۃ العرب علی العجم

اطال المولف واطنب فی اثبات ہذہ الدعوی فذکر طرفا منہ فی الجزء الثانی مدسوسا (انظر صفحۃ ۱۸) ثم جعل لہ عنوانا خاصًّا فی الجزء الرابع (۵۸)

وھذہ نصوصہ،

" فان العرب کانوا یعاملونہم معاملۃ العبید "

" واذا صلوا خلفہم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعًا للہ،

" وکانوا یحرمون الموالی من الکنی ولا یدعونہم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معہم"

" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰۃ الا ثلثۃ حمار او کلب او مولیً"

"فکان العربی یَعُدُّ نفسہ سیدا علی غیر العربی ویری انہ خُلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ"

"فتوهم العرب فی نفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا تحمل فی سن الستین الا قرشیة، وان الفالج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا، ولا یزوجون الاعجمی عربیة ولو کان امیرًا وکانت هی من احقر القبایل"۔

"وکان الامویون فی ایام معاویة یعدون الموالی اتباعًا وارقاء وتکاثروا فادرک معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهم ان یامر بقتلهم کلهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارًا شتی۔

فمنها تعمد الکذب کما ستری"

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاک امثلة من کل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلک تواضعًا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" "وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة" الخ۔

غير خافٍ على من له المام بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدري به ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأز وقال عبدى يكتب الىّ وكتب يزدجرد الى سعد ابن وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شرب البان الابل واكل الضب بلغ بهم الحال الى ان تمنوا دولة العجم فأفٍ لك ايها الدهر الدائر، و كانت ملوك حيرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم و استنكفوا من سيادتهم عليهم

وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر ونخوة نفقال رسول الله فى خطبته الاخيرة فى حجة الوداع، ان لا فضل للعربى على العجمى ولا للعجمى على العربى كلكم ابناء آدم"

وحينئذٍ ارتفع التمايز وتساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت فى بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة فى صدورهم كانت سبب الحدوث حزبين متقابلين يسمّى احدهما الشعوبية وهى التى تحتقر العرب وترميه بكل معيبة حتى ان اباعبيدة صنف كتباً عديدةً يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبايل العرب، والثانى المتعصبون للعرب وقد عقد العلامة ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد باباً فى حجج كلا الطرفين

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف فی اثبات عصبیة العرب هی اقوال ذکرها صاحب العقد فی هذا الباب کما لوّح به المؤلف فی هامش الکتاب. واذا تصفحت الکتب یظهر لك ان الاقوال التی نسبها الی العرب عموماً انما هی اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبیة وصاحب العقد حینما ذکر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبیة من العرب"، وانت تعلم ان هذه العصبة لیست کافّة العرب ولا اکثرها بل ولا عشر معشارها فانك ستری ان هؤلاء اناس شرذمة مغمورون فی الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل ربّما نسب قول رجل معیّن معلوم الاسم الی العرب عامة،

فقال ناقلا عن کتاب العقد "وکانوا یکرهون ان یصلوا خلف الموالی واذا صلّوا خلفهم قالوا انّا نفعل ذلك تواضعا لله" فان صاحب العقد نسب هذا القول الی نافع بن جبیر فاخذه المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذه الصنیعة اعنی تعمیم الواقعة الجزئیة هی اکبر الحیل التی یرتکبها المؤلف لترویج باطله بل هی قطب رحی تالیفه،

قال المؤلف "فادرك معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یامر بقتلهم کلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحه ۵۹) ان نص معاویة الذی نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا "کانی انظر الی

وشبة منهم على العرب والسلطان فرايتُ اَنْ اَقتل شطرًا وَاَدَعَ شطرًا" فانت
ترٰى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل
شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة و قال ان معاوية همّ ان
يا مر بقتلهم كلِّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لاتصيب ابدانهم" (الجزء
الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب
وايم الله لوكُنتَ تقِفُ على عبارة الطبقات لوقعتَ فى اشدِّ حيرةٍ من اجتراء
المؤلف على قلب الحكاية وتغير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عيسى الطبيب الراجح انه نصرانى / انّ المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون
ومنهم عيسىٰ صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على
بن عبدالله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذر و ابذورهم فى الروميات والصقلبيات
وما اشبههن".

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف
الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا
يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عیسیٰ ابی قریش فی المهدی وولدہ انه لا یعرض لعقبه الفالج الاان یبلغوا ۴۰ یزورهم فی الرومیات وانه قد امّل ان یکون الذی به فالجاً لا عارض الموت فقلت لا اعرف لانکارك هذه العلة معنیً اذا کانت اُمُّك التی قامت عنك دنباوندیة ودنباوندا شدُّ بردًا من کل ارضِ الرُّوم فکانه تفرّج الی قولی وصدّقنی واظهر السرور،،

فانت تریٰ ان الظن ببراء تهم عن الفالج انما کان مبناه حرّ ارض العرب ولیس له ادنیٰ مساس بشرف النسل ولو کان کما یتبادر الی الذهن من علاسماء اباء المهدی فهو یختص بعایلة النبی علیه السلام لا یفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذکر لابراهیم (وهوابن الخلیفة مهدی) ان اُمّه من دنباوند وهواشدُّ بردًا من ارض الروم ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر کیف کان مجری الحکایة فغیّرها المؤلف وارتکب لذلك خیانات تتریٰ

ثم ان هذا قول عیسیٰ الطبیب ولا یدریٰ انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانیٌ وهب انه عرب فهو رجل من حاشیة الدولة یرید التزلف الی الخلیفة والتملق له فهل یکون قوله قول العرب کافّة

قال المؤلف "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربیٌّ" (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الروایة الی ابن خلکان

حقیقۃ ہذا القول ان الحجّاج لمّا اسر سعید بن جبیر التابعی المشہور وکان من الموالی قال لہ ممتنًا علیہ اما جعلتک اماما للصلوٰۃ فی الکوفۃ ولم یکن فی الکوفۃ الا العرب قال ابن جبیر نعم، ثم قال لہ الحجّاج الیس انی لما اردت ان اولّیک قضاء الکوفۃ ضجّت العرب وقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی" وقد ذکر الروایۃ ابن خلکان بطولہا ولا یخفی علیک ان کوفۃ لم یکن اذ ذاک فیہا الّا العرب وظاہر ان القضاء لا یصلح لہ الا من کان عارفا بعوائد الامۃ مطلعًا علی خصایصہم وکیفیۃ تعاملہم فیما بینہم وسعید بن جبیر لم یکن من العرب ولو کان استنکاف اہل کوفۃ من قضایہ لاجل کونہ من الموالی لستنکفوا من امامتہ للصلوٰۃ فان الامامۃ اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وہذا ابو حنیفۃ کان من الموالی ۔ ارادوا ان یولّوہ القضاء فی عصر بنی امیۃ فامتنع ولم یرض بذلک وقد ذکر الواقعۃ ابن خلکان مفصّلا،

قال المؤلف "وحرّموا منصب الخلافۃ علی بن الامۃ ولو کان قرشیا"

نعم ولکن لم یکن ہذا للاستہانۃ بہ قال الاصمعی کانت بنو امیۃ لا یبایع لبنی امہات الاولاد فکان الناس یرون ان ذلک للاستہانۃ بہم ولم یکن لذلک ولکن لما کانوا یرون ان زوال ملکہم علی ید ابن ام ولد[١]، اما ما استدل بہ المؤلف من قول ہشام بن عبد الملک لزید بن علی

---

[١] انظر الجزء الثانی من العقد الفرید طبع مصر صفحۃ ٣٣٠

انك ابن امة ولذالك لاتصلح للخلافة فقد رد عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نحقق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا اذلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف اوكانوا بمحل من الشرف والعزّة يعترف لهم العرب بالفضل والسّودد ويوثق لهم او فى قسطٍ والمدّحق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباحٍ هو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام	مكحول،

مصر،	یزید بن ابی حبیب،
الجزیرۃ،	میمون بن مہران۔
خراسان	ضحاک بن مزاحم،
البصرۃ	الامام الحسن البصری،
الکوفۃ،	ابراھیم النخعی۔

وکل ھؤلاء غیر ابراھیم النخعی کانوا الموالی وبعضھم ابناء الاماء ومع کونھم اعجاماً وکونھم اولاد الاماء کانوا سادۃ الناس وقادتھم تذعن لھم العرب وتحترمھم خلفاء بنی امیۃ وولاۃ الامر۔

فاما عطاء بن ابی رباح فمع کونہ ابن سندیۃ کان شیخ الحرم والیہ المرجع فی الفتوی وعلیہ المعول فی المسایل، قال ابن خلکان فی ترجمتہ قال ابراھیم بن عمرو بن کیسان اذکرھم فی زمان بنی امیۃ یامرون فی الحج صایحا یصیح "لا یفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح"، وھل یمکن ان ینادی بمثل ذلک من غیر رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبہ بمکۃ ازدحم الناس فی جنازتہ حتی تعذر الصلوۃ علیہ وکان ابراھیم بن ھشام اذ ذاک والیا علی مکۃ فاستعان بالشرطۃ ومشی فی جنازتہ عبد اللہ ابن الامام حسن علیہ السلام واضعاً نعشہ علی عاتقہ وصلی علیہ الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک الاموی ذکر کل ھذا العلامۃ

ابن خلکان فی ترجمة طاؤس فهل یکون منزلة اعظم من ذلك،

واما مکحول الشامی فاحد الائمة المتبوعین وقال الزهری لعلماء اربعة فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فهو الذی ارسله عمر بن عبد العزیز لیفقه الناس فی مصر ویفتیهم فی المسایل وهو المعلم الاول لهم کما صرح بذلك السیوطی فی حسن المحاضرة واما میمون بن مهران فمع فضیلته وسیادته کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرة کما صرح به ابن قتیبة فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن له الملوك والسادة والقواد وعلیه المعول والیه المنتهی۔

ذکر السخاوی فی شرح الفیة الحدیث للعراقی (طبع لکهنؤ صفحه ۴۹۹،۴۹۹) انّ هشامًا قال للزهری من یسود اهل مکة قال عطاء قال بم سادهم قال بالدیانة والروایة قال هشام نعم من کان ذا دیانة حقت الریاسة له ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلك سال عن مصر والجزیرة وخراسان والبصرة والکوفة فاخذ الزهری یعد اسماء سادات هذه البلاد وکلما سمی رجلا کان هشام یسأل هل هو عربی ام مولی وکان یقول الزهری مولی الی ان اتی علی النخعی وقال انه عربی فقال هشام الآن فرجت عنی والله لیسودن الموالی العرب ویخطب لهم علی المنابر والعرب تحتهم"

انّ التابعین لهم اعلی محل فی تاریخ الاسلام - وراسهم

سعید بن جبیر وھو اسود وقد ولاہ حجاج بن یوسف امامۃ الصلوٰۃ فی الکوفۃ کما ذکرہ ابن خلکان فی ترجمتہ والکوفۃ اذ ذاک جمجمۃ العرب وقبۃ الاسلام وھل یصح بعد ذالک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصلوٰۃ خلف الموالی،

وھذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلۃ من العز والشرف انہ لما کتب الیہ الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک ان یکتب لہ مناقب عثمان ومساوی علیؒ اخذ کتاب ھشام والقمہ عنزا کان عندہ وقال للرسول قل لھشام ھذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمۃ الاعمش)

وھذا حماد الراویۃ الذی دوّن المعلقات ولہ المکانۃ الکبری فی الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیۃ تقدمہ وتوثرہ وتستزیرہ کما ذکرہ ابن خلکان،

وھذا سالم بن عبد اللہ بن عمر کان ابن امۃ ولما دخل الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک المدینۃ ارسل الیہ یدعوہ فاعتذر فدخل علیہ ھشام ووصلہ بعشرۃ الاف ثم لما حج ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذھب لعیادتہ ولما توفی صلّی علیہ وقال لا ادری بای الامرین انا اسرّ بحجتی ام بصلوتی علی سالم[1]

[1] عقد الفرید ترجمۃ ھشام بن عبد الملک،

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العبّاس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب

لا يدع مجالا للريب، ولا متسعا للشك، قال

" وانما ذكرنا هذا لنقدم قريش في اكرام مواليها، وولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم

جيش موتة زيدًا مولاه ... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا

في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل، قالت

عائشة لو كان زيد حيًّا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه

لم فضلّت اسامة عليّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احبّ الى رسول الله من ابيك

وكان احبّ الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة

اذى من مخاط او لعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله .... وكان

ادّى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال علي بن

ابي طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهديّ نظر اليه ويد عمارة

ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي

عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهديّ كالممازح لعمارة فقال له عمارة

انتظرت ان تقول "ومولاي" فانفض والله يدك من بين يدي فتبسم امير المؤمنين

المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب زعم الليثي انه كانت بين جعفر

بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء

ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني

والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه

وان وجّه اليّ مولى مثل هذا وومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضًّا

لما يكره وجّهت اليه واوما الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهأ بمثله العرب قيل الرجل لابيه والمولى لمواليه وفى بعض الاحاديث ان فضل المعتق من طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذه ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان كان من جلة الرجال نازع عمرو بن هدّاب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سال عنها فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وامادتاه وان قيل مولى وعجمى قال اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لآخر اترى هذه العجم تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك" انتهى (صفحة ١٠ و ١١ و ١٢، طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور،

١- ان اكرام الموالى كان من دين العرب عامة وقريشها خاصة۔

٢- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم،

٣- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على استحقار العرب للموالى والعجم كما لا يسوغ الاستدلال باقوال علان وامثاله على ازدراء العجم العرب،

ولواخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام وملّ الناظرون ویظهر مما مرّ علیك ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدی بهم وترفع شانهم، فهل یصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالی وابناء الاماء کانوا فی عصر بنی امیّة مرذولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة — المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو ان الامة العربیة اذا بقیت علی صراقتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای الجور والقسوة والهمجیة وسفك الدماء والفتك بالناس ولکن لما کان لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحا احتال فی ذلك فغمّض المذهب وجعل الکلام طیّب الظاهر وذلك بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار۔ فمدح سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها۔

علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او تقتضیه سیاسة الملك وانما هی خلافة دینیة توقّفت الی رجال یندر اجتماعهم فی عصر۔ فاهل العلم للعمران لا یرون هذه السیاسة تصلح لتدبیر الممالك فی غیر ذلك العصر العجیب وان انقلاب تلك الخلافة الدینیة الی الملك السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ۳۰و۲۹)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، اما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواما موتلفا ونظاما وصرح بذلك فقال "

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فى عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياناتها فهى فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادارو شيونها ومنهم وزرائها وامراؤها وكتابها وحجابها ،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع ان الدولة العربية الساذجة انما هى دولة بنى امية فقال ،

" وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٣)

" وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وان دولة بنى العباس دولة فارسية وان الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ بعدہ مثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منہا الاستخفاف بالدین واهله ومنہا الاستہانة بالقرآن والحرمین ومنہا الفتك والبطش ومنہا قتل الاطفال ومنہا خزانة الرؤس وانی فی مطاوی هذہ العنوانات من الافك والاختلاق والتحریف والتبدیل بما تجاوز الحد خرج عن طور القیاس والآن اذکر نبذًا منہا واکشف عن جلیّة حالها۔

الاستہانة بالقرآن والحرمین قال المؤلف تحت هذا العنوان،

"اما عبدالملك فكان یری الشدة ویجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدین۔ لانه صرح باستہانة الدین منذ ولی الخلافة ۔۔۔ ذکروا انّه لما جاؤہ بخبر الخلافة كان قاعدا والمصحف فی حجرہ فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بینی وبینك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان یضرب الكعبة بالمنجنیق وان یقتل ابن الزبیر ویحتز راسه بیدہ داخل مسجد الكعبة۔۔ وظلوا یقتلون الناس فیها ثلاثا وهدموا الكعبة وهی بیت الله عندهم واوقدوا النیران بین احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحہ ۷۰، ۷۹)

الحكایة علی الاجمال ان ابن الزبیر ادّعی الخلافة فملك الحرمین والعراق وكاد یغلب علی الشام وكان امرہ كل یوم فی ازدیاد وبازائه بنو امیة فی الشام فلما تولّی عبدالملك الخلافة ارسل الحجاج الی ابن الزبیر فحاصرہ ولاذ ابن الزبیر

بمکہ فنصب الحجاج المنجنیق علی الزیادۃ التی کان زادھا ابن الزبیر کما یجی تفصیلہ
یعرف کل من لہ ادنی المام بالتاریخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبیر
ولکونہ لائذا بالکعبۃ اضطر الی نصب المنجنیق علی الکعبۃ ولکن مع ذلک تحرز
عن رمی الکعبۃ فحول وجھہا الی زیادۃ ابن الزبیر فانظر کیف غیر المؤلف مجری
الحکایۃ فصدر الباب بالاستہانۃ بالقرآن والحرمین ثم ذکر ان عبد الملک قال
للقرآن ھذا فراق بینی وبینک وانہ اباح للحجاج ضرب الکعبۃ بالمنجنیق وھدم
الکعبۃ وایقاد النیران بین استارھا فالناظر فی عبارتہ یتوھم بل یستیقن ان
عبد الملک تفرغ من بدء الامر للاستہانۃ بالدین والقرآن والحرمین وجعل
الاستہانۃ نصب عینہ ومرمی غایتہ وقتل ابن الزبیر کان اما لانہ دافع عن مکۃ او
لکونہ ایضا من جنس الاستہانۃ بالحرم اما تفصیل الواقعۃ وتعیین بادئ الظلم
فھو ان ابن الزبیر لما استولی علی الحرمین اخرج بنی امیۃ من المدینۃ فخرج مروان
وابنہ عبد الملک وھو علیل مجدر فاستولی علی الشام وصدرت من ابن الزبیر
افعال نقموا علیہ لاجلہا فمنہا انہ تحامل علی بنی ہاشم واظہر لہم العداوۃ والبغضاء
حتی انہ ترک الصلوۃ علی النبی فی الخطبۃ ولما سألوہ عن ھذا قال ان للنبی اہل
سوء یرفعون رؤسہم اذا سمعوا بہ[1] ومنہا انہ ھدم الکعبۃ ومع ان ھدمہا لم یکن
الا لرمتہا واصلاحہا ولکن لم یکن ھذا مالوفا للناس ولذلک تحرز النبی علیہ السلام

[1] الیعقوبی طبع یورپ صفحہ ۳۱۱ من الجزء الثانی [2] الجزء الثانی من الیعقوبی صفحہ ۳۱۱۔

عن ادخال الحطيم فی الکعبۃ فاتخذ الحجاج ہذہ الامور وسیلۃ لاغراء الناس علی ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی ہذہ الاعمال ولکن من شریطۃ العدل ان نوفی کل احد قسطہ من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منہ اعتذارا فان ابن الزبیر ہو البادی والبادی اظلم ویظہر من ہذا ان عبد الملک ما اراد الحط من شان الکعبۃ ومس شرفہا ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذلک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبۃ حولہا عن الکعبۃ وجعل الغرض الزیادۃ التی کان زادہا ابن الزبیر صرح بذلک العلامۃ البشاری فی احسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقہ ان البغاۃ اذا تحصنوا بالکعبۃ لا یمنع ہذا عن قتالہم ولذلک امر النبی فی فتح الفتح بقتل احدہم وہو متعلق باستار الکعبۃ وابن الزبیر کان عند اہل الشام من البغاۃ والمارقین عن الدین ولو کان اراد الحجاج الاستہانۃ بالحرم لما کان مرادہ من رمتہ واصلاحہ بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج ہو الیوم کعبۃ الاسلام وقبلۃ المسلمین کافۃ

اما قول عبد الملک للقران ہذا فراق بینی وبینک فحقیقتہ ان عبد الملک کان قبل الخلافۃ ناسکا منقطعا الی العبادۃ لا یشتغل بشیء من الدنیا قال نافع ما رایت فی المدینۃ اشد نسکا وعبادۃ من عبد الملک ولما سالوا ابن عمر الی من نرجع فی الفتوی بعدک قال ولد لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقہاء فی المدینۃ سبع احدہم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدت

عليه لفضل الا عبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطى فى تاريخه
الخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصوّر خطارة الامر وان مثل هذا
العبأ لا يمكن تحمّله الا المنقطع اليه فقال تحسّرا هذا آخر العهد بك اى الآن لا يمكن
الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دابى اوّلًا وليس هذا على سبيل الاستهانة
بالدّين مطلقا فانّا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسُّنن فيما بعد فهو يصوم
ويصلى ويحج قال اليعقوبى فى تاريخه واقام الحج للناس فى ولايته سنة ٧٢ه
الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضا وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان
وسنة ٧٦ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٧ ابان ايضا وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة
ابان ايضا وسنة سليمان بن عبد الملك (وسرح باقى لسنوات فتركناها)
وعبد الملك هو الذى كسا الكعبة الدّيباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم؟

قال المولف؛

"وعجز راسه بيده داخل مسجد الكعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩)

استند المؤلف فى هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد
بمثل هذه الكتب فى مثل هذه الوقايع هو من احدى حيل المولف المعتادة
بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة فى الطبرى وابن الاثير وغيرها
من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعوّل واليها المرجع لكن
لما لم يكن كيفية الحادثة فى هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتثبت بكتاب هو فى عداد المحاضرات وانما يرجع الى امثال اذا لم يكن فى الباب مستند غيره ومتى ما لم يخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبد الله بن الزبير اصيب فى الحجون وقتل هناك قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"

قد مناان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصبا لمناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اول ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وانشد،

اتوعد كل جبار عنيد	فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر	فقل لله مزقنى الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلوم ان صاحب الاغانى شيعى، ديانته شنآن بنى امية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم فصل فی هذا الباب فیجیء من امثال هذه الروایات المختلفة قال العلامة الذهبی وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لم یصح عن الولید کفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذلک" (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان هناک امرٌ اخر وهو ان النَّاقِم علی الولید وقاتله هو خلیفةٌ امويٌّ، فکیف ینسب استهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقرآن قد ذکر له صاحبُ العقد ما ینبیٔ عن تعظیمه للقرآن وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد[1] انه شکا رجل من بنی مخزوم دیناً لزمه فقال (الولید) اقضیه عنک ان کنت لذلک مستحقاً قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقاً فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القرآن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم الیک هذا العلج ولا تفارقهُ حتی یقرء القرآن فقام الیه اخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضی دینک وانت اهلٌ لذلک" فانت تری ان الولیدُ یعدُّ من لا یقرء القرآن علجا والمؤلف یعدّ الولید علجاً،

فاما ما ذکره المولف من اقوال الحجاج وخالد القسری انهما کانا

[1] العقد الفريد ج ۲ ص ۳۵۸

يفضّلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال ماخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقّاً ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية كالجاردة وابن الراوندي الذي عمل كتاباً رد فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بني امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاماً قال "هل الحجاج استقر في جهنم او يهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسري استخف بامرءة مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلاً او رجلين من بني امية بالمطاعن لاعترفنا به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعة والفذّ نوعاً والنادر عاماً والشاذ مطرداً۔

جور بني امية سمعنا بظلم بخت نصر وَاحطنا علماً بشنايع چنگيز خان واطّلعنا على ما جنته ايدى **التتر** والله (لو صدق المؤلف) هم كانوا اشد قسوة ولا افظع اعمالاً ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بني امية،

قال المؤلف حتى في ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×

وارسل معه جيشاً ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

فى الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علىٍّ ولا يكفوا ايديهم عن النساء

والصبيان (الجزء الرابع صفحة ۸۲)

قبل ان الكشف عن جلية الامر لابدّ من تقديم مقدمة، وهى ان المؤلف

مدح بنى العباس وجعل اعمالهم مناط العدل ودلالة على الرفق فقال،

ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد فى ظل الدولة العباسية فان العدالة

توطد دعايم الامن واذا امن الناس على رواحهم وحقوقهم تفرغوا

للعمل فتعمر البلاد ويرفه اهلها ويكثر خراجها (الجزء الثانى صفحة ۸۱)

وعلى هذا فاذا وجدنا بنى امية معاطلين لبنى العباس فى جميع اعمالهم سواءً

بسواءٍ كان اختصاصهم بالذم دون بنى العباس جورًا فاحشًا وميلًا عظيمًا، ثم ان هناك

امرًا اخر وهو ان المورخين باسرهم كانوا فى عصر بنى العباس ومن المعلوم انه لم يكن

يستطيع احد ان يذكر محاسن بنى امية فى دولة العباسيين فاذا اصدر من احدٍ

شئٌ من ذلك فلتة كان يقاسى قائلها انواعًا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة

وكم لنا من امثال هذه فى اسفار التاريخ، ومع اننا نفخر بان مورخى الاسلام كانوا

اصدق الناس رواية واجرءهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة

سلطة ملكٍ ولا مهابة جائر ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق

ولذلك نعتقد انهم ما قالوا شيئًا افتراءً على بنى امية ولكن ان قلنا انهم كثيرًا ما

سكتوا عن محاسنهم فذلك شئ لا يدفع وليس فيه غضّ منهم۔

امابنو العباس فكانوا فی عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحیوٰة وسخطهم الموت، فالوقیعة فیهم والاخذ علیهم ما کان یمکن الابعد مخاطرة النفس والاقتحام فی الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الی قول المولف ان معاویة امر بقتل النساء والصبیان، اعلم ان هذہ الواقعة ای ارسال بسر ابن ارطاة الی شیعة علیؑ من اشهر الوقایع المذکورة فی سایر کتب التواریخ ولیس فی احد منها قتل النساء والصبیان بل فیها ما یخالف هذہ الروایة قال المورخ الیعقوبی "ووجّه معاویة بسر بن ارطاة وقیل بن ارطاة العامری من بنی عامر بن لوی فی ثلثة الاف رجلٍ فقال له سِر حتّٰی تمرّ بالمدینة فاطرد اهلها واخِف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم یکن دخل فی طاعتنا واوهِم اهل المدینة انك ترید انفسهم وانه لا براءة لهم عندك

« حتی تدخل مکة ولا تعرض فیها لاحد وارهب الناس فیما بین مکة والمدینة

« ثم امض حتی تاتی صنعاء فان لنا بها شیعة وقد جاءنی کتابهم فخرج بسر فجعل لا یمرّ بحیّ من احیاء العرب الا فعل ما امرہ معاویة (الیعقوبی طبع اوربا صفحة ۲۳۱ من الجزء الثانی)

فتری فی هذہ العبارة انه لم یکن هنالك الا تخویف وتهدید وایهام ولما رای المؤلف ان المصادر التاریخیة الموثوقة بها لا توجد فیها ما یوافق هواہ جنح الی الاغانی ونقل امر معاویة بقتل النساء والصبیان ثم اعتذر عن معاویة بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعين له حدودًا وكان بسر سفاكًا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قد قلنا ان الاغانی من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هينًا وكان الحديث فكاهةً او تسليًا من كد العمل الى استراحةٍ فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة معتركة الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعًا لشانٍ اوهادمًا لاساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يُلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغانی) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكن بها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"،

قال المولف "فاذا كان هذا حال العمال فی ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فی ايام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابي مسلم

الخراسانی القایم بدعوة بنی العباس لموسس لهد ولتهم فانه قتل صبرا بدون
حرب مایبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه
(الجزء الرابع صفحه ١١٢) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیاسة
فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربی قح طبعه الجفاء والقسوة
اما ابومسلم فعجمی تربی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،
اما قوله "عبد الملك كان اشد وطاة منه" (ای من الحجاج) فلم یات
علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی
بابی مسلم الذی هو رب الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعباسیین قایمة
ولا كان لهم ذكر وكذلك غدر المنصور بابن هبیرة،
وغایة مایقضی منه العجب ان المولف بعد ماذكر فتك بنی امیة بقوله
"وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تاثید سلطانهم ثم قال صارت
سنة فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرئ
ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلا عن الفتك فهل هذا تناقض فی القول
اوارادبهم نفعا فضرهم من حیث لایعلم لا والله لا هذا ولا ذاك بل هی من مكاید
المولف التی لایهتدی الیه الا فطن خبیر بطویة الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال ؛ ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعا من الجور والشدة
الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقیقة،

قال يذكر جور العمال "واذا اتى احدهم بالدراهم ليوديها فى خراجه يقتطع الجابى منها طايفةً ويقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانى صفحة ٢٢ واستند فى الهامش بكتاب الخراج لابى يوسف صفحة ٦٢)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك۔ اتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضى ابا يوسف ما تكلم فى شان عمال بنى امية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل فى جباية الخراج وكتاب الخراج لابى يوسف بين ايدينا وقد طبع فى مصر وتداولته الايدى وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفى كلام القاضى ابى يوسف فى عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبين الطرق التى كان اوليك الصغار يجمعون الاموال بها قال "بلغنى انه قد يكون فى حاشية العامل والوالى جماعة منهم لوبه حرمةٌ ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرارٍ ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم فى عمالة يقتضى بذلك اللذ ما مات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج كان او من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج فى الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلوة وهذا عظيمٌ

عند الله شنیع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ۲۲۳ و ۲۲۴ مستندًا الی کتاب الخراج صفحه ۶۱ و ۶۲)

الله اکبر! هل سمع احدٌ باعظم من هذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی ابو یوسف من عمال هرون الرشید ویرفع القضیة الیه ویبین ما بلغه مما یرتکب عماله فی اخذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقواله وینقلها من حیث انما هی الطرق التی کان عمال بنی امیة یجمعون الاموال بها، ها هو کتاب الخراج بایدینا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وکررنا فیه النظر لا کرّة او کرّتین بل مرّات متوالیة متتابعةٍ فما وجدنا فیه کلمة فی شان عمال بنی امیة وانما قال ما قال ابو یوسف یعظ الرشید بما بلغه عن عماله الی ان خاطبه بقوله،

فلو تقرّبت الی الله عز وجل یا امیر المومنین ابا لجلوس لمظالم رعیتک فی الشهر او الشهرین مجلسًا واحدًا تسمع فیه من المظلوم وتنکر علی الظالم رجوت ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیته ولعلک لا تجلس الا مجلسا او مجلسین حتی یسیر ذلک فی الامصار والمدن فیخاف الظالم وقوفک علی ظلمه فلا یجترئ علی الظلم ... مع انه متی علم العمال والولاة انک تجلس للنظر فی امور الناس یومًا فی السنة لیس یومًا فی الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (کتاب الخراج صفحة ۶۳ و ۶۴)

لا فُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملك جبار كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة والبرجرائك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة عمال بني امية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فاعوزك كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئا من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية ،

قال المؤلف وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من اهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فئ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥٠)

الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه

"وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلا على ان العرب وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا وظنا منهم ان اموالهم

واعراضہم اُبیحت لہم مطلقا۔

حقیقۃ القول انہ لما فتحت البلاد فی خلافۃ الفاروق تقدم بعض الصحابۃ کعبد الرحمن بن عوف وبلال وغیرہما وقالوا ان الارض مقسومہ بیننا کما قسم رسول اللہ خیبر وکان الفاروق رأی غیر ہذا فقام النزاع حتی وُفِّق الی الاستناد بنص القرآن فسکتوا ورضوا والقصۃ مذکورۃ بتفاصیلہا فی کتاب الخراج للقاضی ابی یوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحاً فمتی کان الخراج او الجزیۃ شیئاً مُسمّی مُعیّناً ما کانوا یرون الزیادۃ علیہ وان اکثرت الارض خیراتہا وزادت غلاتہا وفتح بعضہا عنوۃ فکان الخراج او الجزیۃ علیہا بقدر النقص والزیادۃ وہذا ہو قول عمرو "ان کثر علینا کثرنا علیکم وان خفف عنا خففنا عنکم" وقد اشار الی ذلک المقریزی فی تاریخہ والعلامۃ السیوطی فی حسن المحاضرۃ فاما قول سعید بن العاص الذی استند بہ المولف فتحریف الکلام عن موضعہ علی جاری عادتہ فان المولف نقل ہذہ الروایۃ من الاغانی والمذکور فیہ ما حاصلہ "ان احدا مدح السواد عند سعید بن العاص وبالغ فیہ فقال بعضہم نعم ویالیتہ کان لامیرنا فقال بعض من حضر لا نعطِ ارضنا للامیر فقال الرجل ولو شاء الامیر لاخذہ فانکروا قولہ فقال سعید بن العاص "السواد بستان قریش الخ" فقال الرجل لا انہ من منابت رماحنا" فانت تری ان النزاع بین الجند وامیر البلد ہنا ہو النزاع الذی کان بین بعض الصحابۃ وعمر الفاروق وایُّ متشبّث فی ذلک للمؤلف

فان سعید بن العاص قال ما قال رداً علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم بین فاتحی البلاد بل هی تحت ید الخلیفة او من ینوب عنه وانما ذکر سعید قریشاً لان الخلافة علی زعمهم للقریش خاصة،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا یبالون کیف یجمعونها فقد کتب معاویة الی زیاد "اصطف لی الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عماله بذلک واوصاهم ان یوافوه بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذهباً ولا فضة" (الجز الرابع صفحة ۵ ، واحال الروایة فی الحاشیة الی العقد الفرید صفحة ۱۰ من المجلد الاول)

ننقل ماخذ هذه الروایة کما صرح به المولف فی الهامش لتری خیانات المولف واحدة بعد واحدة ، قال صاحب العقد،

" ونظیر هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبی ان زیاداً کتب الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفة ان امیر المومنین کتب الی ان اصطفی له الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس ذهباً ولا فضة فکتب الیه انی وجدت کتاب الله قبل کتاب امیر المومنین ثم نادی فی الناس فقسم بینهم ما اجتمع من الفئ" (العقد الفرید المجلد الاول صفحة ۱۰)

فانظر اولاً، انه ليس فى هذه الرواية ان معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم ان امير المومنين كتب الىّ،، ولعل زياد كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، ان المولف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمال بنى امية من لا يمنع عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ. لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثاً، انه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استئثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها،

قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال بأية وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اول الاسلام الجزية وكثرة اهل الذمة فكان عمال بنى امية يتشددون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك ليبخيهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصاً اهل خراسان وما وراء النهر فانهم ظلوا
الى اواخر بنى امية لايمنعهم عن الاسلام الاظلم العمال بطلب الجزية منهم
بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٧٠)

ذكر المؤلف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات
متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطأة على القلب يترأى للناظر فيها ان
الناس حيطوا من كل جانب جوراً وعدواناً فاذا ابقوا على الكفر يعانون من
الشدة ما يلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لايخفف
عنهم العذاب ولاهم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الابدلاً عسكرياً فمن يذبّ عن بيضة الملك
بنفسه فهو غير ماخوذ بها امّا من ضنّ بالنفس ولايصلح لذلك فعليه ان يودى
شيئاً من المال ليكون عدّةً للعسكر وعوناً له واوّل من سنّ الجزية وجعل لها
وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرّح بانها هى الوضايع التى اقتدى بها
عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرها انّ اقواماً من النصارى
فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت
عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها
الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شئ يحدّ بين الكفر والاسلام
ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فی الدیوان وکانوا لا یرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبین بالجزیة والمسلم لا یمکن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الی الذب عن بلاد الاسلام طایعا او مکرهًا، صارت الجزیة کانها حدٌّ فاصل بین الرئیس والمرءوس ثم بین المسلم وغیر المسلم،

٢- ولما لم ینفصل الامر بتّةً وبقی للاجتهاد موضع ومُتَّسع کان بعض العمال یضرب الجزیة علی حدیثی العهد بالاسلام،

٣- ولکن مع ذا لم یتفق ذلك فی مدی الخلافة الاموية الامرات معدودات یشهد بذلك الفحص التقصی وامرار النظر والكد فی البحث والتنقیب ومع ذلك فکلما وقع مثل هذا لم یکن له بقاء فاما ان یکون الامة هی التی تقیم النکیر علی العامل او یصل الخبر الی الخلیفة فیرد عمله ویمنعه عن الوقوع فی مثله امّا ففی سنة ٨١ لما کتب الحجاج الی البصرة بردّ من اسلم من اهل القری الی مساکنهم وضرب الجزیة علیهم ضجّ القُرّاء وخرجوا یبکون مع البکاة من اهل القری وبایعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزّین من عمل الحجاج منکرین علیه کما هو مشروح فی تاریخ الکامل لابن الاثیر وکذلك لما اقتدی الجراح الحکمی بصنیع الحجاج کتب الیه عمر بن عبد العزیز یامره باسقاط الجزیة والواقعة مذکورة فی حوادث سنة ١٠٠ فی تاریخ الکامل وکذلك لما فعل یزیدُ بن ابی مسلم فی افریقیة سنة ١٠٢ الّبَ الناس علیه و قتلوه وکتبوا الی الخلیفة یزید بن عبد الملك فکتب الیهم انی ما کنتُ مستحسنًا

عمل يزيد والقصة مذكورة فى الكامل تحت حوادث ١٠٢ سنة وكان اخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فى خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم اما خلفاء بنى امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجرة فترك والقصة مذكورة فى المقريزى بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكاراً على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانى صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابى مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم اى قتلهم يزيد بن ابى مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام لم يامر به احدٌ من خلفاء بنى امية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصاً فى الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تالّب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٢٩٢ من الجزء الثاني)۔

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق؟ اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي۔ "ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الا ان دینار وفی ایامه امر عبد العزیز بن مروان فامر باحصاء الرهبان

فاحصوا واخذت منهم الجزیة علی کل حالم دینار دهی اول جزیة اخذت

من الرهبان"(الجزء الثانی من المقریزی صفحه ۴۹۲)

فهل تجد فی هذہ العبارة ادنی اشارة الی ان عبد العزیز او احد غیرہ

شدد فی الجزیة فاختار والرهبنة طلبا للنجاة من الجزیة فما نفهم وانما فیها

ان عبد العزیز بن مروان وضع الجزیة علی الرهبان وهذا لیس فیه کبیر شیٔ فان

الرهبان وان کانوا معافون عن الجزیة ولکن لما لم یکن الامر منصوصاً لا فی

الکتاب ولا فی السنة کان للاجتهاد فیه مساغ فاجتهد عبد العزیز واخطاء،

انه هذا البحث | لو سردنا کل ما قال المولف عن جور بنی امیة وعمالهم

واستیثارهم الاموال واسرافهم فی استلابها وبینا ما فی کل قول من التحریف

والتدلیس وتغییر المعنی والخیانة فی النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال

الکلام واحتجنا الی عمل کتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا علی کشف

بعض دسایسه مع انه قُلٌّ من کلٍّ وغیضٌ من فیضٍ[۱]،

[۱] ومما یناسب ذکره فی هذا المقامات المولف لما انجز الجزء الاول من کتابه ارسله الیّ فکتبت الیه بعد الاعجاب به انه لابد من ذکر مصادر الروایات فی کل موضع وذلك لاجل انی کنت اخاف علیه التدلیس، فاظهر المولف فی مقدمة الجزء الثانی انه عمل بذلك، ویذکر الکتاب والجزء والصفحة ولکن من الاسف ان کل هذا ما اجدی نفعاً فانه ما یذکر المطبعة ولاجل هذا کابدتُ فی تطبیق مصادر کتابه محنة عظیمة [illegible] وبسبب ذلك ما اهتدنا الی اکثر خیاناتها ومن المحقق المستیقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فیها شیئاً من التحریف والتغییر ومن کان فی ریبٍ من ذلك فلیراجع الاصول [illegible] محنة التطبیق لیؤمن بما قلته مع حیرة وانذهاش-۱۲

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن انا اشدك بالله اما كان لاحد منهم ماثرة تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع البلاد ومعدلة تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عارا عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شاو الراشدين واللحوق بهم امر خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمع لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى عدلهم سيرة وامثلهم طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من الاخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان دولتهم دولة عجمية وقد مر نصه فى ذلك سابقا ؛

وحان لنا ان نذكر طرفا من مآثر بنى امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن فى اقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بنى امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودى فى مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان ياذن فى اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ×××
فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى
ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمراة
ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول اَعِزُّوه ويقول عُدِىَ علىّ
فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروه فى امره حتى اذا
لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر
منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا
لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل
الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلان فيقول افرضوا له ويقول

آخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهد وهم وا قضوا حوائجهم، ثم يوتى بالغداء، والكاتب يقرء كتابه فيا مر فيه، حتى ياتى على اصحاب الحوائج كلهم و ربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد حكاية معترضة "فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على اهل القرابات" ثم ذكر بعد ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى) وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر ومحمد بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و عبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تامير الحجاج ولكن الدولة تحتاج فى ابانها واول نشاءتها

الی مثال ذلك وهذه ابو مسلم الخراسانی موسس الدولة العباسیة قتل ستمایة الف رجل صبراً وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشمیین مالم یسبق له نظیر فی الاسلام ومع ذلك فانی اعوذ بالله ان اقوم ذاباً عن الحجاج ومدافعا عنه،،

اما الولید فکان اهل الشام یفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفرید

"کان الولید عند اهل الشام افضل خلفایهم واکثرهم فتوحا، واعظمهم نفقة فی سبیل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدینة ووضع المنابر واعطی المجذومین حتی اغناهم عن سوال الناس واعطی کل مقعد خادما وکل ضریر قایداً وکان یمر بالبقال فیتناول قبضة فیقول بکم هذه فیقول بفلس فیقول زد فیها فانك تربح" وهو الذی وسّع مسجد النبی وذهّب البیت قال الیعقوبی ان الولید بعث الی ملك الروم یعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فلیعنه فیه فبعث الیه بمایة الف مثقال ذهبا ومایة عامل واربعین حملا فسیفساء * * وبعث الولید الی خالد بن عبدالله القسری وهو علی مکة بثلثین الف دینار فضربت صفایح وجعلت علی باب الکعبة * * فکان اول من ذهب البیت فی الاسلام وحج الولید سنة ۹۱ لینظر الی البیت والی المسجد وما اصلح منه والی البیت وتذهیبه"

وقال الیعقوبی کان اول من عمل البیمارستان للمرضی ودار الضیافة واول من اجری علی العمیان والمساکین والمجذومین الارزاق،

وقال السیوطی فی تاریخه الخلفاء "وکان مع ذلك (ای کونه جبارا ظلوما)

يختن الايتام ويرتب لهم المودبين،

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واجل الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعائم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم،

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطلَع لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احد من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم ففتحوا اطرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزائر البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا اسوار القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمد الثقفى احد ابناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس و الاندلس وارمينة وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وماوراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فی سعة الملك و من يباريهم فی كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك و الرعية ليس فی سعة الملك كبير فضل اذ لم يكن هنا تانق فی امور المملكة ونظر فی امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فی عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فی امور اهلها ليسوا عند ذوی الخبرة من اهل التاريخ اسمی منزلة واعلی مكانة من قطاع الطريق الذين يعثون فی الارض مفسدين اما ملوك بنی امية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر فی امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين و الصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين و حصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التی هی كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصن هشام المثقب علی يد حسان بن ماهون الانطاكی وحفر له خندقا وبنی حصن قطرغاش وحصن مورة و حصن بوقا من عمل انطاكية وبنی سعيد بن عبد الملك سور الموصل و هو الذی

هدامه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار
العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا
واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من
اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و
امر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فى سنة ۸۳
مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها
واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها
القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج بنى احد قوادهم عقبة بن نافع
الفهرى بافريقية قيروانا واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض
فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فكان موضع قيروان غيضة ذات
طرفاء وشجر لا يرام من السّباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك
المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنة مستانسة بعد ما كانت مستوحشة
ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة
يعترض للنّاس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس
فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ۸۸ "ان الوليد كتب
الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر و عمر
ما هنالك ولما بغى سيل الجرات بمكة فى سنة ۸۰ فى زمن عبد الملك امر عامله
بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على افواه
السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى
ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة
خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة
مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق
فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون
الغاشمون (كما يقول جرجى افندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من
الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر
ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر ناقد ونهر خيرتان
ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر
ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها[1] بالبصرة فما بال
غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى
وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

[1] راجع لكل ذالك البلاذرى۔

فى كثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار على علم

وبنو أُمَيَّة هم اول من اتخذ دار الضرب فى الاسلام فكسوا به الاسلام

رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونجوه عما اوعده الروم بنقش شتم

النبى صلى الله عليه وسلم عليها وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن

الفارسية والرومية والقبطية الى العربية فزادت العربية انتشارا ونفوذا

ولم يمض بُرهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان

وهم اَوّل من بنى مستشفى فى الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين جعلوا

فيه الاطباء وامروا بحبس المجذومين واجروا لهم الارزاق وهم اول من

انشاء دار العميان وهم اول من عمل دار الضيافة بعد عمر بن الخطاب[52] وهم

اول من رتب للايتام وتحنن اليهم ورتب لهم المودبين ليعلموهم[53]،

نشر المعارف والعلم ان العلم فقد نشر بعصر بحره وزهر بدره فالقرآن الذى هو ضوء الاسلام

وراس العلوم وينبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان

وهو أُموى ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتكت بهم فقسدت لغتها

واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر [illegible]

---

٥١ راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذرى،

٥٢ اليعقوبى ذكر الوليد،

٥٣ السيوطى ذكر الوليد،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتابه فوضعوا النقط والاعجام[1] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرة برتها الاسلام لاسیما وبها مبرة واعظم منة من بها علی الدین لایوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[2] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دون التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبد الملک[3] ثم مجاهد

اما الحدیث فکانوا یدرون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صائح من بنی مروان فی موسم الحج الا لایفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح[4]، اجلالا لشأنه ولکثرة علمه بالمناسک وکان عبد الملک امر الحجاج وهو امیره

---

[1] ابن خلکان ذکر الحجاج، عه میزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار

[2] العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۶،

[3] ابن خلکان ذکر عطاء،

[4] مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبدالله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالا لهم وهم اساطين الحديث وائمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امراهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]

اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد بن ابيه
وهو والى العراقين يوما ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

---

[1] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهری وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضری وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل[۱] وهؤلاء كلهم كانوا فی عصر بنی امية وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر فقد ففی عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم ففحول الشعر وامراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمی وجرير الخطفی والاخطل التغلبی وعمر بن ابی ربيعة القرشی وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلی وذو الرمة غيلان ونصيب هولاء كلهم كانوا يقصدونهم بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزينة للغة،

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وكانو يستوفدون الشعراء ويستزيرونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون ابناءهم الی البادية ليتسلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادية وقد جمع الوليد بن يزيد عبد الملك ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[۲]۔

اما علم التاريخ والسير والمغازی فعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السير والمغازی هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفی سنة ۱۱۴ ومحمد بن مسلم الزهری صاحب عبد الملك المتوفی سنة ۱۲۴

---

[۱] ابن خلكان المجلد ۲ صفحة ۳۸۰، [۲] الفهرست صفحة ۹۱،

وموسی بن عقبۃ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وهؤلاء کلهم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[1]
ووضع فی ایامهم عوانة المتوفی سنۃ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان للملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انه کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ثم یقوم فیاتیه غلمان
وعندهم کتب فیقرؤن علیه ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصره عبید بن شریة من
صنعاء الیمن وساله عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامره ان یدوّن ما علمه وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی وله من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضیین[2]
واخذ عنه اناسٌ سماهم ابن الندیم وکان من رُواته زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارفٌ بایام العرب واحادیثها (الفهرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان هشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل له جبلة بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ[3] وامر هشام النَّقلة فنقلوا له کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتهم وتراجم رجالهم وکان هذا الکتاب مصوراتمّ نقله سنۃ ۱۱۳

[1] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ ،
[2] کتاب الفهرست صفحۃ ۲۴۴ ۔

راه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلها الی العربیة

آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی

الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة

عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون

ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا

الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم وخالد

بن یزید بن معاویة حکیم آل امیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام

وخبرُه انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی

طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر

ومنهم مریانوس الرومی الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل

الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا و

الطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته

وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته

ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المارّ ذکره رسایل رسطاطالیس الی

الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

سلہ اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدنا هم فی الاسلام هم اوّل من امو بنقل العلوم الی العربیة فی الاسلام هم اول من انشأ خزاین للکتب فی الاسلام وقد اضربنا صفحا عما کان لال امیة بالاندلس فی السیاسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجلیلة والسیر العادلة فهل لک ایها الفاضل المؤلف الی الاذعان للحق من سبیل و الی الرجوع من ضلال الرای من طریق،

صنیع المولف بالعباسیة عهدنا الوحوش الضاریة مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وکونها مطبوعة علی الافتراس والفتک والتروی بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عایلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف و الغضب بالحنان فبینما احدها عبوس کاشر عن الانیاب کالح الوجه مستبشع المنظر کریه الهیئة اذ هو هش بش حنون عطوف یذوب لطفا ورقة وکذلک شان قواد الجند وابطال الحرب فانک تری احدهم اذا قاتل الاکفاء وناطح الاقران فهو شهاب ینقض و نار تلتهب وسعیر تفور و اذا عاشر الاصحاب فهو الینهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وجمنا عوده فی معاملته مع اعدایه (بنی امیة) فلننظر کیف حاله فی معاشرته مع اصدقایه (العباسیة)

قال المولف.

"فغلب بعضهم الی المنصوران یستبدل الکعبة بما یقوم مقامهما فی العراق تکون حجا للناس فبنی بناء سماه القبة الخضراء تصغیرا للکعبة وقطع المیرة

فی البحر عن المدینۃ" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیہا جندہ فانشاء فیہا کعبۃ وجعل حولہا طوافا واتخذ منی وعرفات"، (الجزء الثانی صفحۃ ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافۃ الی المامون، فاخذ اشیاعہ وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بہا خوفا من غضب الفقہاء وفی جملتہا القول بخلق القرآن ای انہ غیر منزل (الجزء الثالث صفحۃ ۱۴۱)

غیر خافٍ علی احدان العباسیۃ ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیہم فی الریاسۃ فمعظم فخرہم وابین حججہم انہم بنو عم النبی وسدنۃ البیت وخدمۃ الحرم وَدُعاۃ الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وہو موسس دولتہم وفاتحۃ خلفاءہم بنی القبۃ الخضراء ارغاما للکعبۃ وقطع المیرۃ عن المدینۃ تضیقا علی اہلہا وان المامون وہو افضل خلفاءہم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وہو فحلہم وواسطۃ عقدہم بنی کعبۃً فی سامرا وجعل لہا طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس لہ حمیم ولا عدو فہو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميل اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بني امية فهو يُوَفّي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلوكان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وههنا موضع نظرٍ الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغضّ من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذبّ عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسًا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية لياخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر انّ من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الّا بالتظاهر بالدين والتصبّغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلّي الى خاصّة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامّة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء من بني امية

والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم او يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كف اصحاب عليٍّ من القتال ولما قال عليٌّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم تذعن لهذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد ما فعل ضج الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلاً ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد فى الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التى كان زادها ابن الزبير رضـ ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقنى خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرًا فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلةً لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القران والعياذ بالله۔ فاما استشهاد المؤلف فى هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تاوُلٍ ولولا انى سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحتُ الامر وبيّنتُ حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٠ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی فی مصر فاصبح لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة الکلب اطرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون معه نبی ینصره الله به (الجزء الثانی صفحہ ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم الامرُ والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض و الا برام ذکر ذلك فی غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحًا الیه وشفاءً لحزازته وهزةً لعطفه ونیلًا لاربه ومع ان الواقعة مکذوبة او محرّفة علی جری عادته فنحن لا ننازعه فی ذلك ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول ذا مدح احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذللوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمة الامور یولون ویعزلون وینفقون ویسکون فهل هذا یکون مدحًا ترضی به دولة فرنسا او یکون هذا عارا یستحی منه ومسبة یستنکف عنها وشناعة تشمأز عنها القلوب وانصف من نفسك ما کان حظ العباسیین من تولیة الاعاجم اما آل برمك فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلك استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيدُ الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعاً يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسب به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته۔ فدبر لذلك حيلاً يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية وتارةً بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا واذا كررت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّد ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم اباد وا الكتب والخزانات واضطهدوا على اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام فى اول مرة نهضة عربيّةً والمسلمون هم العرب فى كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس فى لاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب

وتمكن هذا الاعتقاد فى الصحابة لما فازوا فى فتوحهم وتغلبوا على دولتى

الروم والفرس فنشأ فى اعتقادهم انه لا ينبغى ان يسود غير العرب

ولا يتلى غير القرآن"

"اما فى الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان

قبله فرسخ فى الاذهان انه لا ينبغى ان ينظر فى كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان

قبله من كتب العلم فى دولتى الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم

ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة"

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

"وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان

والفرس فى الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حريق الخزانة الاسكندرية لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد بابا لاثبات ان

حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب فى

ذلك واستدل عليه بستة دلائل نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالا،

قال اولاً،

لہ الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح متقدمى الصحابة"

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ۳۹) وحوّل عليه هٰهنا اقوال منها "ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله اولعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ" ولا شيء متعلق فى هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلاجل كون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله "راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال لم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسىٰ حيا ما وسعه الا اتباعى" وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى النقلة ولذلك قال لم اتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنی اشارة الی محویها والحاق الضرر بها ونزیدك ایضاحًا للكلام بما فیه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القران وعلیه المعول وهو المستمسك فی كل باب وكان هو العروة الوثقی فی هذا العصر للصحابة واهل القرن الاول والقران له عنایة كبری بالتوراة والانجیل وهو الذی نوه بذكرهما وعظم شانهما، فقال

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فیها هدی،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجیل وما انزل الیهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بین یدی من التوراة،

مصدقا لما بین یدیه من التوراة،

ما كان حدیثا یفتری ولكن تصدیق الذی بین یدیه (ای التوراة والانجیل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعین الی قرءة التوراة والانجیل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم یكتفوا بها بل اخذوا ایرودون ویتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصیص اهل الكتاب ومرویاتهم وقد اعترف بذلك المولف نفسه فقال،

"وقد رایت ان العمدة فی التفسیر علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا

اذا اتشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب

الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من

اليهود والنصارى، فكانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من

اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه

المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله

٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه،، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير

في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها

من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المؤلف نفسه فقال،

"فنشاء في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن

"فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اي القرآن) عن كل كتاب سواه

ومحوا ما كان قبله من كتب العلم،،

ويقول الآن ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن
منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل
القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه
المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير
ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد ها توضيحا وتفصيلاً ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من
الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا
الى الرواية ، لم يدانه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة
ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع
عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب
ما رايت احدًا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة "،

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى
فى طبقات الحفاظ "كان من ايام النبى صوّاما قواما تاليا لكتاب الله طلابة
للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرًا ++ وكان اصاب جملة من
كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب ،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى
وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وكونه عالما باهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء
هذا ليلةً وهذا ليلةً» فهذا ان صح ففى الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها،

ومنهم كعب الاحبار كان من كبار اهل الكتاب» اسلم فى زمن ابى بكر
قال الذهبى قدم من اليمن فى دولة امير المومنين عمر فاخذ عنه الصحابة
وغيرهم واخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه» فهذا كانه تصريح فى ان
الصحابة اخذوا عنه علم اهل الكتاب،

ومنهم وهب بن منبه قال الذهبى فى ترجمته "وعنده من اهل
الكتاب شئ كثير فانه صرف عنايته الى ذلك، وكان ثقة واسع العلم ينظر
بكعب الاحبار فى زمانه، وعن وهب قال يقولون عبد الله بن اسلام اعلم
اهل زمانه وكعب اعلم اهل زمانه،

فهل بعد كل هذا يصح قول المولف، ان الصحابة ومن يليهم كانوا
يقولون انه لا ينبغى ان يقرء كتابٌ غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من
العلم عياذا بالله،

قال المولف

ثانياً جاء فى تاريخ مختصر الدول لابى الفرج" ثم نقل رواية الاحراق
برمتها واطال فى اثبات ان ابا الفرج ليس باول من روى هذه الرواية

بل ذكرها عبد اللطيف البغدادی عرضا فی ذكره عمرو الواری و ذكرها القفطی فی تاریخ الحكماء"

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذكر هذه الروایة بالقفطی والبغدادی ولكن ماذا ینفعه ذلك فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذكر الروایة من غیر اسناد ومن غیر احالة علی كتاب

تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الكتاب واوهامهم فسبّب ذلك انّه یزن التاریخ الاسلامی بمیزانٍ غیر میزاننا ولذلك یصغی الی كل صوتٍ ویستمع لكل قائل لا یعرف ان هذا الفن له اصول و مباد و قواعد ومالم یكن الروایة مطابقة لهذه الاصول الیقینیة لا یلتفت الیها اصلا

منها ان الناقل للروایة لابد ان یكون شهد الواقعة فان لم یشهد فلیبیّن سند الروایة ومصدرها حتی یتصل الروایة الی من شهدها بنفسه

ومنها ان یكون رجال السند معروفین بصدقهم ودیانتهم،

ومنها ان لا یكون الروایة تخالف الدرایة ومجاری الاحوال،

ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل كُلّ شئ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سیرهم واحوالهم ودیانتهم ومحلهم من الصّدق فدوّنوا كتب اسماء الرجال وكابدوا فی ذلك محنة یضیق عنها النطاق البشری فعملوا كتبا غیر محصورة منها الكامل لابن عدی والثقات لابن حبان و تهذیب

الكمال للمزي وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات **الصحابة** لابن سعد ولابن ماكولا وابن عبد البر ولابن الاثير ولابن حجر، وتهذيب الاسماء للنووي وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر.

وتجد كتب القدماء من مورخي الاسلام كلها او اكثرها كتاريخ البخاري وسيرة بن اسحاق وتاريخ الطبري وابن قتيبة وغيره مسلسل الاسناد مبينة الاسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها.

فاول شيء يهمنا في هذا البحث ان نرى هل ذكر **القفطي والبغدادي** هذه الرواية مسندة وذكرا مصدر الرواية واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع فاي عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا احالة على كتاب،

اما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها اثر ولا عين، هذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة واخبار الطوال للدنيوري وفتوح البلدان للبلاذري والتاريخ الصغير للبخاري وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ومع ان فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها ليس لحريق الخزانة فيها ذكر،

وعلاوة على ذلك فان في فتح **مصر** كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر

للكندي وكشف الممالك لابن شاهين، وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفي و تاريخ مصر لابن بركات النحوي وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها صاحب كشف الظنون، **والمقريزي** جمع وأوعى كل ذلك ولم يترك رواية ولا خبراً يتعلق بمصر إلا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند ذكر فتح الاسكندرية.

قال المؤلف،

واما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه ولعل لذلك سبباً آخر، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام عن مثل المؤلف وكيف يقدر ديانة مورخي الاسلام وشدتهم في تحري الصدق ونزاهتهم عن التغيير والتحريف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غريزته تعمل الكذب والتحريف والخيانة والمحو والاثبات.

قال المؤلف،

ثالثاً ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق مكاتب فارس وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ٤٥)

انظر الی هذا الکذب الفاحش والخدیعة الظاهرة فان صاحب الکشف ذکر ما ذکر من عند نفسه من غیر نقل روایة ولا استناد ولا استشهاد بکتاب ولا ذکر ناقل ومورخ وصاحبنا یقول انه ورد فی اماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق المکاتب وقد لخصها صاحب کشف الظنون فاین الاماکن الکثیرة واین التلخیص

اما قول صاحب کشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وکذالک قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الی کبیر اعتناء وزیادة احتیاط ولذالک لما ذکر ابن خلدون فتح مصر واسکندریة وهو المظنة لذکر هذه الواقعة لم یتفوه بهذه الروایة اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب کشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم یذکرا انهما من این اخذا هذه الروایة لا یعبأ بها ولا یلتفت الیها،

قال المولف،

رابعًا ان احراق الکتب کان شایعًا فی تلک العصور، کما فعل عبد الله بن طاهر بکتب فارسیة (الجزء الثالث صفحه ٣٥)

یا للعجب، **عبد الله بن طاهر** من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر یمتاز بکونه عصر العلم والمعارف وقد کانت للدولة ورجال حاشیتها وغیرهم عنایة کبری بکتب الاوائل وکانوا یستجلبون الکتب من فارس وبلاد الروم وغیرها تجد تفاصیل ذلک فی فهرست ابن الندیم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التی ما ذکرها احدٌ من ثقات المورخین وانما استند المولف ببراون المعلم الانکلیزی وهو نقلها من تذکرة دولت شاه وهو کتابٌ جامعٌ لکل غثٍ وسمین، ولو صحّ نقلها لکانت علی سبیل الندرة والشذوذ فهل یصح قول المولف انّ اِحراق الکتب کان شایعًا فی تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الادیان فی تلك العصور کانوا یعدّون هدم المعابد القدیمة واحراق کتب اصحابها من قبیل السعی فی تائید الادیان الجدیدة،

(ثم ذکر فی تائید ذلك عمل امبراطورة الروم واحراق کتب المعتزلة،

نعم ولکن الراشدین لا یقاسون بغیرهم، ثم ان المسئلة لیست قیاسیة فما لم تثبت بالروایة لا ینفع مجرد القیاس،

قال المولف، سادسا،

فی تاریخ الاسلام جماعة من ایمة المسلمین احرقوا کتبهم من تلقاء انفسهم

(ثم ذکر بعض الحوادث فی تائید ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء یجوز له ان یفعل بملکه ما یشاء وای حجةٍ فی ذلك لاحراق کتب قوم اٰخر،

اِنّ هذه القیاسات الواهیة لا تغنی شیئًا ولکن لو اردنا ان نستشفی

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین بآثار اھل الذمة ومعابدھم وکنائسھم وامتعتھم وخزائنھم، ان الاصل فی ذلک عھد النبی صلی اللہ علیہ وسلم الذی کتبہ لاھل نجران وقد ذکرہ القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفہ

ولنجران وحاشیتھا جوار اللہ وذمة محمد النبی رسول اللہ علی اموالھم انفسھم وارضھم وملتھم وغائبھم وشاھدھم وعشیرتھم وبیعھم وکل ما تحت ایدیھم من قلیل وکثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۴۱)

فکان ھذا العھد ھو العمدة للصحابة عضوا علیہ بالنواجذ وتجد فی کل عھود الخلفاء الراشدین کعھد نجران ومصر وشام والجزیرة ان ھذا الاصل ای ذمة اللہ ورسولہ علی ارضھم وکل ما تحت ایدیھم من قلیل او کثیر محفوظ باقٍ علی حیالتھا الاصلیة وعھد مصر ھو ھذا۔

"ھذا ما اعطی عمرو بن العاص اھل مصر من الامان علی انفسھم ودمھم واموالھم وصاعھم ومدھم وعددھم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لھم ارضھم واموالھم لا یتعرضون فی شئ منھا" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العھد باھل الذمة وغیرھم ومع عھدہ بانھم لا یتعرضون فی شئ من اموالھم وکل ما تحت ایدیھم کیف کان یتعرض لخزانة کتبھم التی ھی من انفس ذخائرھم واغلاھا

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتاً ونفياً وممّن الّف هذا البحث اجمالاً وتفصيلاً المعلم وايت والمعلم ساسی الفرنساوی فی ترجمة کتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريپر الاميركانی صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچٹن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوی فی تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوی فی خطبة الاسلام والعلم وارنلڈ گبين، وللمعلم كريل الالمانی رسالةٌ مستقلةٌ فی هذا البحث قدّمها الی المؤتمر الشرقی الذی انعقد سنة ۱۸۷۰م، اوردَ فيها كل ما كتب الباحثون فی هذا البحث نفياً واثباتاً وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالةً فی لسان الاردو وترجمت الی الانكليزية ثم الی العربية ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها فی جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققی اهل اوربا قضوا بانّ الواقعة غير ثابتة اصلاً منهم جبن المورخ الشهير الانكليزی ودريپر الاميركانی وسيديو الفرنساوی وكريل الالمانی والمعلم رينان الفرنساوی عمدتهم فی انكار ذلك امران الاول انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثر فی كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبری وابن الاثير والبلاذری وغيرها ممّن ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف والقفطی وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدراً للرواية

ولاسند - والثانی ان الخزانة کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلك بدلائل لا یمکن انکارها،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارة علی العرب" ولذلك منعوهم من تدوین الکتب، "وکان هذا الاعتقاد ناشئا فی الصحابة والتابعین وتمسك به جماعة من کبارهم وکانوا اذا سئلوا ان یدونین علیهم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحة ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدة فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابة کانوا یمنعون الناس عن الکتابة والتالیف ونحن لا ننکر ان هذا کان مذهبا لبعض الصحابة والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلك وامروا بالکتابة والتدوین اکثرهم عددا وارجحهم میزانا واوسعهم نفوذا وقد عقد المحدث المشهور القاضی ابن عبد البر فی کتابه جامع بیان العلم (انظر صفحة ۷۳ طبع المصر) بابا فی اثبات ذلك ونحن ننقل شطرا منها، قال "وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبد الملك بن سفیان عن عمه انه سمع عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود کتابا وحلف لی انه خط ابیه بیده وعن ابی بکر قال سمعت انضحاك یقول اذا سمعت شیئا فاکتبه ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انه کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابي مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربي في كتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم قال قيد العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الداروردي
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابي الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علي قال
سمعت خالد بن خداش البغدادي، قال ودعت مالك بن انس فقلت
يا ابا عبد الله اوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة
وكان يقول وددت لو ان عندي كتبي باهلي ومالي وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل يا خذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجلٌ لايكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخص فيه اخرون قلت له لولم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىُّ شئ كنّا نحن قال اسحق و سالتُ اسحق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و كان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول انى احب ان اكتب الحديث على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه فاوقفه لااطرحه ولاادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه ولااعبأ به وقال الاوزاعى تعلّم مالايوخذ به كما تتعلم مايوخذ به و عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان كل من لايكتب العلم لايومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرانيا ان لانمنعه احدا من المسلمين وذكر المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئًا الاكتبته ولاكتبته الاحفظته ولاحفظته الانفعنى

الضغط على اهل الذمة

ادعى المولف ان عمر بن الخطاب كتب عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فیہ ضغطا علی النصاریٰ ثم اعتذر لعمر بان نصاری الشام کانوا میلون الی قیصر الروم وکانوا من بطانتہ یتجسسون لہ فلذلک احتیج الی الشدۃ بھم والتضئیق علیہم،

کُلّ من لہ ادنی مسکۃ فی التاریخ یعرف انّ **الطرطوشی** لیس من رجال التاریخ وکتابہ کتاب ادب وسیاسۃ لاکتاب تاریخ وھو من رجال القرن السادس وانما المعوّل فی ھذا البحث المصادر القدیمۃ الموثوقۃ بہا کتاریخ الطبری والبلاذری والیعقوبی وابن الاثیر وغیرھا وھذا ما کان یخفی علی المولف ولکن لاجل ھویٰ نفسہ اعرض عن کل ھذہ وتشبث بروایۃ واھیۃ تخالف الروایات الصحیحۃ المذکورۃ باسنادھا ورجالھا، قال القاضی ابویوسف وھو مع کونہ من رجال الفقہ عارفٌ بالمغازی والسّیر بعد ما نقل عھد نصاری الشام ولیس فیہ ادنی ضغط علیہم ولا شدۃ بھم،

"فلما رای اھل الذمۃ وفاء المسلمین لھم وحسن السیرۃ فیھم صاروا اَشِدّاء علی عَدُوّ المسلمین وعونا للمسلمین علی اعدائھم فبعث اھل کل مدینۃ رسلھم ممن جری الصلح بینھم وبین المسلمین رجالا من قبلھم یتجسّسون الاخبار عن الروم وعن ملکھم وما یریدون ان یصنعوا فاتی اھل کل مدینۃ رسلھم یخبرونھم بانّ الروم قد جمعوا جمعا ×× فکتب ابو عبیدۃ الی کل والٍ ممن خلفہ فی المدن التی صالح اھلھا یامرھم ان یردوا علیہم ما جبی منھم من **الجزیۃ**

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لانقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا واخذوا كل شئ بقي لنا حتى لايدعوا شيئا (كتاب الخراج طبع مصر صفحه ٨١)

فانظر الى هذا العدل الذي عجز البشر عن ايتان مثله واعتراف اهل الذمة بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم۔

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل المعرفة لايعرف من علومنا الا اسماءً اتلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن علم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدي التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ١٧) ظن الرجل ان استخدام القياس والراي من مبتدعات الفرس مع ان اول من سمي بهذا الاسم هو ربيعة الراي صرح بذلك السمعاني في الانساب وهو من اهل المدينة وممن اخذ عنه الامام مالك، وان المالك رض والشافعي رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب اَرُومۃً وموطناً واداۃً وانّ الفارق بین اصحاب الرای والحدیث لیس
استعمال القیاس وفصل القضیۃ فی ذلک تجدہ فی کتاب حجۃ اللہ البالغۃ لشاہ ولی اللہ
الدھلوی من متاخری حکماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فکان من جملۃ مساعی المنصور
فی تصغیر امر المدینۃ وفقہائہا وخصوصاً مالک بعد ان افتی بخلع بیعتہ انہ
نصر فقہاء العراق القائلین بالقیاس وکان کبیرھم یومئذ ابا حنیفۃ النعمان فی
الکوفۃ فاستقدمہ المنصور الی بغداد واکرمہ وعززمذھبہ،،

ظلمات بعضہا فوق بعض، ما کان ابو حنیفۃ ارفع مکانۃ عند المنصور من مالک
فان ابا حنیفۃ کان ھواہ مع ابراھیم الخارج علی المنصور وکان افتی بنصرۃ ابراھیم
ولذلک اراد المنصور المکیدۃ بہ فاستدعاہ وعرض علیہ القضاء ولما لم یرض بہ سجنہ
وامر بضربہ حتی مات فی السجن، اما ما قال عن تصغیر امر الامام مالک فیخالف الروایات
الصحیحۃ الثابتۃ قال القاضی بن عبد البرّ فی کتاب جامع العلم (صفحۃ ۶۷) عن
محمد بن عمر قال سمعت مالک بن انس یقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانی فدخلت
علیہ فحدثتہ وسالنی فاجبتہ فقال انی عزمت ان امر بکتبک ھذہ التی وضعتہا
یعنی الموطاء فینسخ نسخاً ثم ابعث الی کل مصر من امصار المسلمین منہا نسخۃ و
امرھم ان یعملوا بما فیہا لا یتعدوھا الی غیرھا ویدعوا ما سوی ذلک من ھذا العلم المحدث
فانی رایت اصل ھذا العلم روایۃ اھل المدینۃ وعلمہم الخ۔

قال "وکان ابو حنیفۃ لایحب العرب ولا العربیۃ حتی انہ لم یکن یحسن الاعراب ولا یبالی بہ

(الجزء الثالث صفحة ۱۰ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فی هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فی تاريخه فی ترجمة ابی حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادی اطال فی مثالب ابی حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بابا قبيس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شیء يومی الی ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما علی العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ الحماد وهو تلميذ لابراهيم النخعی وكلهم عرب۔ ثم اصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته ای ابا يوسف ومحمدا وزفر كلهم عرب، اما لحن ابی حنيفة فمعلوم انه عجمی وكم من الاعجام الذين هم رؤس الادب ووجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فی غمار هذا البحث الدقيق الذی يحتاج الی التضلع فی العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرای وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عرفناه قبل ذلك فی سوء طويته وكامن حقده وتحامله علی العرب واعتياده بالتحريف وتمرنه بسوء التاول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضى الامر الى بنى العباس و اراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل نظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناءً سماه القبة الخضراء حجًا للناس وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها فى امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ۱۷)

وهذا كله كذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلًا وابرءُ ساحة من ان يبنى بناءً ارغامًا للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقًا عليه لما قام بالخلافة وقد صرح بذالك المقريزى (الجزء الثانى صفحه ۱۴۳) فقال "وذكر البلاذرى ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب فى قطع الميرة والمولف يقول ان قطع الميرة انما كان ارغامًا للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته۔

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بنى امية فى الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الذهن انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة فى الادب وتنشيطًا لاهله لان الشعر سجيةٌ فى العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ
(الجزء الثالث صفحه ۱۰۲) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه
لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب فى رفع منار
الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال للدفع
بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب
الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل
الميل الى القياس متواصلا فى بنى العباس والاعتزال قرب المذاهب الى اصحاب
الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ۱۴۰) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف
الاسلامية حتى انه يقرن بين الاعتزال والراى ويعدهما من جنس واحد
ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى
والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم
(الا الشاذ النادر منهم) كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى
والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا ناقمين على الاعتزال وكانوا
يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال
لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثة تقوم بالله تعالیٰ وهو صفة قدیمة فالمعتزلة قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا یقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالیٰ منزل الی الرسول فهذا لا یختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بجدتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلک فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلک سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل انه انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من تقرب ولا یمکنتی منی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیک یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءک وانصارک واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصارد ولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶و۵۴۷)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و
قالوا انك قدمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من
السياسة لامساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحى بن عامر الحارثى من
اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول
وخصوصا فى اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا
لراى الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها
فى القراءة والتفسير والفقه وفى كل شئ حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف
ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء
الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية
الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف
من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور
القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد
واثنان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم
ابن خلكان والشهرستانى وغيرهما،